الإهداء

إلى ثمرة فؤادي.....

وروح قلبي .....

وفلذة كبدي...

ابنتي الراحلة : ياسمين

أهدى هذا الكتاب لكل من توفى له ولد وكان صابرًا محتسبًا عند الله فلقد ساعدتني ياسمين على جمع مخطوطات العرب والمسلمين وكانت تحرص معي دائمًا على إحياء ذكراهم فى التاريخ أبدَ الدهر وأسأل الله أن تكون ذخرًا لنا فى الجنة وأن يدخلنا الله وإياكم الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب ... وأتوسل من القارئين أن يدعوا لى ولوالدتها أن يفرغ الله علينا صبرًا وأن تأخذ بأيدينا إلى الجنة من غير أن يُنصب لنا ميزان أو يُكتب لنا ديوان.

والدك : المؤرخ المصري

سمير الحفناوى

obeikan.com

مقدمة

obeikan.com

obeikan.com

الحمد لله الذي خلق آدم من طينٍ ثم نفخ فيه روحا، ثم اصطفاه للرسالة كما اصطفى من بعده إدريس ونوحا، واتخذ إبراهيم خليلاً وموسى كليماً وإسماعيل ذبيحا،ونصر هود على عاد، وألان الحديد لداود، ووسع لسليمان في الأرض وسخر له ريحا،وأنقذ لقمان من الأنام وآتاه الحكمة في المنام، فاستيقظ بليغاً فصيحا، ونجى يوسف من الجب وعلمه من تأويل الأحاديث فكان في تعبيره للرؤيا نجيحا، واختص المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم بتمام رسالاته ، وخصه في الجنة حوضاً مورداً ومقاما فسيحا، وأنزل عليه في محكم كتابه الحكيم ، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ ﴾. [النَّجم]

أحمده سبحانه على كل حال وعلى نعمه التي ليس لها زوال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... لا ند له... لا مثيل له... شهد لذاته بالربوبية... قبل أن تشهد له مخلوقاته... فقال تعالى في محكم كتابه: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١٨ ﴾ [آل عمران].... وقال تعالى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ ﴾ [طه]....وقال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٣ ﴾ [البقرة].

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله.... وصفيه من خيرة خلقه وحبيبه.... بلغ الرسالة وأدى الأمانة.... وكشف الغمة ... ونصح الأمة.... وحمل منهج السماء بأمانة.... بواسطة الأمين جبريل... تنزيل من رب العالمين... ألا وهو القرآن الكريم... ذلك القبس السماوي المنير.... الذي يشع الخطوط المستقيمة للسلوك الفردي... ذلك القبس السماوي المنير... رمزا لكل ما هو حق.... ولكل ما هو عدل.... ولكل ما هو واجب.

أما بعد:

فلم يحظ كتاب من الكتب المقدسة أو غير المقدسة بمثل ما حظى به القرآن الكريم من دراسات حيث نال عناية طوائف عديدة من العلماء منذ نزوله حتى الآن، وسيبقى محل عناية الدارسين واهتمامهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

هذه العناية وذلك الاهتمام ليسا بالأمر الغريب، فلم يعرف على مدى التاريخ كتاب كان سبباً مباشراً في بناء حضارة، وتأسيس ثقافة مميزة غير القرآن الكريم، فهو يحتوي كثيراً من القيم التاريخية والعلمية والأدبية، وهذه القيم تمثل نوعاً من الأسرار، شاء الله ـ سبحانه ـ أن يكشف في كل عصر بعضها على يد بعض من عباده، ولعل ذلك هو السر في تدفق سيل المؤلفات والدراسات التي تخرجها أفواه المطابع في كل يوم من الأيام، فالكل يأمل أن ينفحه الله ببعض نفحاته من هذا القرآن المعجز. وحسب المرء أن يتطلع إلى دراسة قرآنية يجلو بها بعض غوامض القرآن، أو يكشف بعض أسراره، وإن باب القصص القرآني لفسيح، وساحته لرحبة، تتسع لعشرات الدارسين والباحثين، فما على المرء إلاّ أن يلجه ويحط بساحته، مادام يملك أدوات الدخول، ويعرف الطريق إلى الساحة، ومادام يستشرف نبل المقصد، وطهارة الغاية، فامتلاك الأداة، وحسن النية، ونبل القصد، كلها كفيلة ببلوغ المراد كله أو بعضه على الأقل.

إن التوجه إلى القصص القرآني بوصفه مورداً نستقي منه أسس فن القصة لا يعني أن نتعامل مع القرآن على أنه كتاب قصص وتسلية، ولكن لا ينبغي أن ننسى «أن معجزة القرآن معجزة بيانية أساساً، ولهذا لا ينبغي أن ننكر عليه أن يكون من مقاصده الإتيان بفنون وألوان من فن القصة، ولا نستبعدها عليه، بل المنتظر أن

يكون ما يأتي به منها ليس كمثله شيء، ولا يطاوله فن»[1].

ومن صدق التوجه، بل من سلامة المنهج ،أن ننبه إلى أمر في غاية الأهمية وهو: أن القيم الدينية مقدمة دائما عن القيم الفنية ، في دراستنا للقصة القرآنية، بل كان السعي إلى إثبات تسخير الفن في خدمة الدين والعقيدة من قصص القرآن أساساً قوياً من أساسيات منهج هذه الدراسة ، ولو كان العكس لفسد المنهج، وشاهت النتائج تبعا لفساد المنهج.

وثمة بواعث حفزتني إلى دراسة القصص القرآني هي:

١ ـ أن القصة الفنية شاعت في العصر الحديث ، بما تحمل من مباذل ومفاسد كادت تهدم الأخلاق وتقوضها من أساسها ، وأن شيوعها أوشك أن يواري وجه الشعر العربي الذي اعتز به العرب على مدار العصور، وتعاقب الدهور.

٢ ـ أن من أهم القضايا المثارة في الساحة الأدبية ما يسمى: الأدب الإسلامي، وهي قضية شائكة، والخوض فيها يشبه المشي على الشوك، يدمي الأقدام، ويدعي بلوغ الغاية أمراً جد عسير، ومن أهم جوانب هذه القضية أن بعض المتحمسين لها يريد أن يبدأ التنظير لها من يومنا الحاضر، دون أدنى إلتفاته إلى تراث أسلافنا. وهذه النظرة ـ التي تقطع الرحم بين الماضي والحاضر ـ تأتي في وقت يرى فيه أحد المستشرقين خلاف ما يرى الدارس العربي المسلم،إذ يقول:« إذا أراد الناقد أو المنظر العربي أن يقتبس من الفكر الغربي فإن عليه ـ في البداية ـ أن يرجع إلى أصله العربي، وأن يفهمه فهماً بنائياً،وأن يعي مسئوليته الخاصة فيما يتعلق بالموازنة بين عبء الماضي وقلق الحداثة .

---

(١) بدائع الإضمار القصصي في القرآن الكريم، د: كاظم الظواهري، ط دار الصابوني، ودار الهداية، الطبعة الأولى،١٩٩١م،١٤١٢هـ، ص٧٤.

وهذا هو منهج المنظر والناقد الغربي في نفس الوقت، فالوعى بين الثقافة الأصيلة وتيار التجديد مسئولية كبيرة يتحملها الناقد والمنظر العربي»[1].

٣ ـ الرغبة في الإسهام في وضع تصور لمنهج أدبي يحكم فن القصة إبداعاً ونقداً، ولا يخفى أن أهم وجوه الإعجاز القرآني بلاغته، التي تتقاصر دونها قدرات المبدعين من البشر مهما أوتوا من فصاحة وبيان. والقرآن هو المثل الأعلى لفنون القول المتعددة، ومنها القصة بطبيعة الحال، ولم لا يكون تميز القصص القرآني أدبياً استمراراً لإعجاز القرآن، خاصة أن علماء الإعجاز نصوا على أن التحدي بالقرآن مستمر في كل العصور وليس مقصوراً على زمن النبوة وحده؟.

٤ ـ أن بعض كتاب القصة في الأدب العربي الحديث قد انعطفوا ناحية القصص القرآني، يستوحونه ويتمثلونه، وينسجون على منواله، فكان أحدهم يأخذ القصة القرآنية، ويصوغها في قالب عصري ويغير من أحداثه، وأسماء شخوصه، وربما يخرج بها عن المنهج القرآني في الغاية والبناء الفني على السواء.

٥ ـ أن بعض الذين درسوا القصص القرآني قد انحرف عن طريق الجادة، وسار على غير هدى فقال في القرآن مالا يصح قوله، لذا كان من عناية هذا الكتاب تفنيد بعض المزاعم الفاسدة التي لم تحظ بعناية الدارسين عناية مستحقة.

وكانت هذه البواعث ـ مجتمعة ـ وراء التوجه إلى جعل هذه الدراسة عن القصص

(1) من حوار مع المستشرق الأمريكي ياروسلاف ستيتكيفتش، أستاذ الأدب العربي في جامعة شيكاغو الأمريكية . أجرته: سلوى العناني، وعنوفت له « الاستشراق الأمريكي والأدب العربي» مع عنوان جانبي « الأصل في النقد هو العودة إلى الجذور وموازنتها بالجديد» .. الأهرام المصرية ـ الجمعة ١٣/٨/١٩٩٦م، ص:٣.

القرآنية دراسة فنية في معظمها، وأنّ الهدف منها ، هدفاً فنياً في المقام الأول، والهدف الرئيسي منها يتمثل في: استخلاص الأسس الفنية للقصة من القرآن الكريم، وذلك من خلال: استعراض القصص القرآني في توافق بنائه وأساليبه مع مضامينه ومراميه.وللوصول إلى هذا الهدف الأساسي تستعين الدراسة بعرض بعض عناصر القصة على القصص القرآني ـ من الناحية التطبيقية ـ وبعض الأجناس الأدبية ، لبيان دور القرآن الكريم في التأصيل لهذه العناصر. كما تعني الدراسة ـ أيضا ـ بيان المقاصد والأهداف التي ورد القصص القرآني من أجلها بما يوضح: تناسب الهدف من القصص القرآني مع الغاية من القرآن، وانتخاب الأحداث في القصة القرآنية، وتكرارها، مجملة أحياناً، ومفصلة أحيانًا أخر. ويجب ألاّ ننظر إلى القرآن بوصفه نصاً أدبيا فقط، يعرض على منهج الدراسة الأدبية كما لو كان نصاً أدبياً من صنع البشر.

إن القرآن الكريم كتاب دين وتشريع في المقام الأول، وقيمته الدينية والتشريعية هى المقدمة على كل ما عداها، ولكن ينبغي أن نذكر أن النظرة إلى القرآن الكريم قد انفسحت ـ في العصر الحديث ـ فصارت تشمل القيم التاريخية والعلمية والأدبية، بالإضافة إلى القيم الأساسية، أعني القيم الدينية والتشريعية. وبتوفيق الله وعونه خرج هذا الكتاب في ثلاثة أبواب.

وجاء **الباب الأول** تحت عنوان: أسلوب القصة في القرآن الكريم:

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: الفن القصصي وأغراضه.

الفصل الثاني: الخصائص الفنية للأسلوب القصصي في القرآن الكريم

الباب الثاني: القصص الرمزي والواقعي في القرآن الكريم.

ويحتوي على ثلاثة فصول:

(١) القصة الرمزية في القرآن الكريم وفوائدها.

(٢) القصة الواقعية في القرآن وفوائدها.

(٣) الجوانب السمعية والحسية والنظرية في القصص القرآنية.

الباب الثالث: فن السرد والحوار في قصص القرآن الكريم:

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: طبيعة المشهد والحوار في القصة القرآنية.

الفصل الثاني: طبيعة المشهد والحوار في القصة البشرية.

ثم بعد ذلك تأتي الخاتمة ومصادر المعلومات.

وبعد أرجو أن أكون قد وفقت في إخراج هذا الكتاب على وجه قريب من الصحة، يساوي ما أنفق فيه من وقت وجهد.

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب

المؤرخ والمفكر الإسلامي

سمير محمد عثمان الحفناوي

historian_samir@yahoo.com